

الباب الثالث

الأسلوب والخطابة

أ. تعريف الأسلوب

إن كلمة أسلوب جمع الأساليب، ومعنى الأسلوب لغة هو الفن القول أو طريقة،³⁷ والأسلوب في اللغة العربية كما قال ابن منظر أنه سطر من النخيل كل طريقة ممتد فهو الأسلوب، فالأسلوب الطريقة والوجه والمذهب يقل أنتم في أسلوب سوء.³⁸

وإصطلاحاً يعرف أنه الطريقة التي يتبعها الفرد في التعبير عن افكاره ومشاعره.³⁹

³⁷الأب لويس معلوف السيوعي، المنجد في اللغة والأعلام، (بيروت : دار المشرق، ١٢٨٦) ط ٩، ص ٣٥٤

³⁸ابن منظر، لسان العرب، (القاهرة: دار المصرية، دت) ج ١، ص ٤٥٦

³⁹محمد غفران زين العالم، البلاغة في علم البيان، (فونوركو : دار السلام، دت)، ص.

وعند صلح فضل الأسلوب هو مظهر القول الذى ينجم عن
إختيار وسائل والتعبير، هذه الوسائل التى تحددها طبيعة ومقاصد
الشخص المتكلم أو الكاتب.⁴⁰

إن أسلوب هو فن من القول، والأسلوب عند جارم ومصطفى
أمين فى كتاب " البلاغة الواضحة " الأسلوب هو المعنى المصوغ ألفاظ
مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام
والأفعال فى نفوس سامعية.⁴¹

ب. أنواع الأسلوب

كما قال جارم ومصطفى امين، فى كتاب " البلاغة الواضحة"

وينقسم الأسلوب الى ثلاثة أقسام كما يلى :

⁴⁰صلاح فضل، دراسات أدبية علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠) ط٢، ص ٩٦
⁴¹جارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة، (مصر : دار المعارف، ١٩٧٧) ص ١٢

١. الأسلوب العلمى

الأسلوب العلمى هو أهدأ الأساليب، و أكثرها احتياجا إلى المنطق السالم والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعرى لأنه يخاطب العقل، ويناجى الفكر، ويشرح الحقائق العلمية التى لا تخلو من غموض وخفاء.

الأسلوب العلمى هو هدفه إظهار الحقيقة وتحليلتها للسامع والقارئ، ويمتاز بالوضوح والدقة والتحديد والترتيب المنطوقى، بإستخدام البراهين والأدلة، والبعد عن التأنق والمبالغة، والعزوف عن الخيال وبإستخدام المصطلحات العلمية المتصلة بالموضوع وعناصر الأسلوب العلمى عنصران هما الأفكار والعبارة.⁴²

⁴² محمد غفران زين العالم، البلاغة فى علم البيان، (فونوركو : دار السلام، دت)، ص.

٢. الأسلوب الأدبي

الأسلوب الأدبي هو الجمل أبرز صفاته، وأظهار مميزات و منشأ جماله ما فيه من خيال رائع، تصوير دقيق وتلمس بوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء و الباس المعنوى ثوب المحسوس فى صورة المعنوى.⁴³

الأسلوب الأدبي هو هدفه إثارة عاطفة السامع أو القارئ، والتأثير فى نفسه، ويمتاز باختيار الألفاظ وتأنق والمبالغة فى التعبير، والعناية بالصور الخيالية، والحرص على العبارة وجرس الألفاظ، فله أربعة عناصر هى الأفكار والعبارة و الصور البيانية والموسيقى.

⁴³ محمد غفران زين العالم، مراجع السابق

٣. الأسلوب الخطابي

الأسلوب الخطابي هو الأسلوب الذى تبرز قوة المعانى والألفاظ وقوة الحجة والبرهان وقوة العقل الخصب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعية لإثارة عزائمهم واستنهاض همهم. والجمال هذا الأسلوب وضوحه شأن كبير فى تأثيره ووصله إلى قراءة النفوس ومما يزيد فى تأثيره هذا الأسلوب متلة الخطيب فى نفوس سامعية وقوة عارضته ووضوح حجته ونبرات وصوته وحسن القائه، ومحكم إشارته.

فالأسلوب الخطابي يتناول فيه عن الألفاظ و قوة الحجة وقوة العقل ويتحدث الخطيب فيه الى سامعية لتأثير فى النفوس. وللأسلوب ثلاثة عناصر، هى الأفكار والعبارة و الصور البيانية. ويراد بالأفكار الغاية المقصودة فى النص وقد تسمى المعنى، وهى العنصر الرئيسى فى الفنون الاقتاعية والتعليمية كالمحاضرات والمقالات وغير هما. والعبارة

هي المكونة من الفاظ و كلمات حملت الفكرة إلى عقولنا فهمنا.
وتلك الألفاظ أو الكلمات إختارها الأديب ونسقها في نظام خاص.
والصورة البيانية قد تسمى أيضا بالخيال، فهي القوة النفسية التي
تنهض بالحوادث أو المناظر الطبيعية فينفعل بها اشفاقا أو إعجابا، لا
يكتفى بعرضها صامته بل مفسرة مصورة مجسمة لإيضاح الأفكار في
معرض رائع مؤثر.

ج. تعريف الخطابة

الخطابة في اللغة هي الوعظ والإرشاد، وهي مصدر من خطب
يخطب خطبة و خطابة.⁴⁴ وفي الاصطلاح هي الترغيب فيما ينفع وعما
يضر وتكون على ملاء من الناس في المجتمع و المواسم.⁴⁵

⁴⁴ أحمد ومصطفى عناني الإسكنداري، الوسط في الأدب، مصر: الوسط 1912 م، ص.13

⁴⁵ المرجع السابق

وقد عرفت الخطابة بتعاريف أخرى لا يتبا عد بعطها عن بعض كثيرا،

ولكن من أوضح ما عرفت به الخطابة ما يلي :

1. مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أى موضوع يراد.

2. خطاب يلقي من قرد على جماعة جماعة بقصد التأثير في نفوسهم

وإقناعهم بأمر من الأمور.⁴⁶

ومهما يكن من أمر، فإن الخطابة علم له أصول وقوانين، تمكن

الدارس لها من التأثير بالكلام، وتعرفه وسائل الإقناع بالخطاب، غرض من

الأغراض الكلامية، وإن هذا العلم (علم الخطابة) يعنى بدراسة طرق التأثير،

ووسائل الإقناع، وما يلزم أن يكون عليه الخطيب من صفات وآداب،

والإمام بميول السامعين، وما ينبغى أن تكون عليه أساليب الخطبة وأجزاؤها،

⁴⁶ إبراهيم الصبيغ : البلاغة والأدب 2 / 91.

ولذلك كانت غاية الخطابة عند الحكماء : الحصول على قوة التمكن من الإقناع.

د. فائدة الخطابة

الخطابة وسيلة من وسائل السيادة والزعامة، وكانوا يعدونها شرطاً للإمارة، فهي التي تكمل الإنسان، وترفعه إلى ذي المجد والشرف، وحسب الخطبة شرفاً أنها أصحاب الدعوات من الأنبياء والعلماء، و الساسة والعظماء، والملوك والكبراء، وهي شأن قادة الأمم، والعاملين من ذي الهمم.

ويستميل النفوس، ويحرك العواطف نحو ما يريد، وهي التي تثير الحق وتخفف الباطل، وتقيم العدل، وترد المظالم، وهي التي تهدى الضال إلى سواء السبيل، وتفض النزاع، وتقطع الخصومات.

فالخطيب البارع يقف بين ذوى المنازع المختلفة، والآراء المتضاربة، فلا يزال يبين لهم النافع من الضار، والصواب من الخطأ حتى يجعل الجميع في قبضة يده، والخطيب البارع يقوم بين طائفتين استعرت بينهما نار العداوة والبغضاء فيذكرهم التقاطع، ويحذرهم من نتائج السيئة، فإذا القلوب مؤتلفة، والنفوس متأخية.⁴⁷

ولا عجب أن قال النبي عليه الصلاة والسلام "إن من البيان لسحرا".⁴⁸

هـ. طرق تحصيل الخطابة

لاشك أن الخطابة مرتقى صعب المنال لا يصل إليها طالبها بيسر، بل يحتاج مبتغيها إلى زاد عظيم، وصبر ومعاناة، واحتمال للمشاق، ليصل إلى تلك الغاية السامية، وطرق تحصيلها ما يلي⁴⁹:

⁴⁷ على محفوظ، فن الخطابة واعداد الخطيب، ص 15، 16.
⁴⁸ روى البخارى عن زيد بن أسلم قال سمعت ابن عمر يقول جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وفى رواية: "فخطبا فعجب الناس لبيانهما"، والحديث رواه الجماعة بألفاظ مختلفة.

1. قراءة كلام البلغاء

دراسته دراسة متعرف لجوانب التأثير، وأسرار البلاغة، ومتذوق لما فيها من جمال الأسلوب، وحسن التعبير، وجودة التفكير فقراءة كلام البلغاء تقدم للقارئ أنواعا من المعاني والأساليب ينال منه بيسر وسهولة من غير معاناة. ولا كد ذهن.

2. الثروة الكثيرة من الأنفاظ والأساليب

وذلك بحفظ كثير من خطب من خطب من اشتهر بالفصاحة والبيان فإن الخطابة تحتاج إلى تعابير كثيرة، حتى يستطيع الخطيب أن يعبر عن المعنى الواحد بعدة عبارات، وأساليب متغايرة، لكيلا تذهب جودة المعنى، ويصيب السأم النفوس ولا يمد الخطيب بالعبارات المتغايرة

⁴⁹إمام مسلمين، فن الخطبة العربية، مالنج. ملك فرس، ص. 19.

المتحدة المعنى لإثروة فى الألفاظ والأساليب، وحفظ كثير لأقوال المتقدمين.

3. دراسة أصول الخطابة

لاشك أن هذه الأصول لابد لها من عوامل أخرى، إذ هى وحدها لا تكفى، بل لابد أن يكون معها استعداد كامن، أو رياضة ومران شديد فالقوانين على هذا هادية مرسدة، تساعد على تحصيل الخطابة بإنارة السبيل، ولا تكون وحدها الخطيب، بل هى مهذبة للفطرة مساعدة لها.

4. الاطلاع على كثير من العلوم التى تتصل بل جماعت

كالا قتصاد، والأخلاق والاجتماع، وعلم النفس، والأديان، فإن الاطلاع على هذه العلوم فوق أنه ينمى فكره، ويوسع مداركه، ويجعله على بصيرة فى مهمته، ويضع أمامه المصباح الذى يهديه إلى طرق التأثير، فيصيب غايته، وينال غرضه.⁵⁰

⁵⁰ مصلح بيومي، الخطبة فى الإسلام، 1444هـ، ص. 76

5. ضبط النفس واحتمال المكاره

قد تعترض الخطيب زوابع من كل ناحية، وقد يقابل بالسخرية والاستهزاء، وقد يكون المخاطبون ممن يتتبعون عوراته، ويتسقطون هفواته، فإذا لم يتدفع الخطيب بضبط النفس، والسيطرة التامة على إحساسه ومشاعره، لم يستطع السير إلى غايته. وقد يما قال خطيب عربي "لقد شينى ارتقاء المنابر" وهو قول يدل على مقدار ما كان يعانيه ذلك الخطيب فى الاستيلاء على نفسه حتى لا يضرب، ولا تأخذه الحبسة.

لذلك نقول يجب أن يربى مريد الخطابة نفسه على احتمال المكاره، والحلم ومحاربة مظاهر الاضطراب والوجل، فإن الاضطراب يورث الحيرة مما يضعف أثر الخطبة فى نفوس السامعين.

6. التدريب والممارسة

إن التدريب والاطلاع، وثروة الألفاظ، والقراءة الكثيرة، والعلم بالأصول الخطابية لا تطفئ في تكوين الخطيب، لأن الخطابة ملكة وعادة نفسية لا تتكون دفعة واحدة، بل لا بد لمريدها من المعاناة، والممارسة والمران، لكي ينمي مواهبه، ويعالج عيوبه إن وجد في نفسه عيبا، ولا ييأس من إعراض الناس عنه، فإن كثيرا من الخطباء المبرزين، اللسن المقاويل كانت لهم عيوب كلامية فأصلحوها.

جاء في كتاب "تاريخ الحضرة" في الحديث عن "ديموستين" خطيب اليونان : أنه عند ما خطب على المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة، إذ كان صوته ضعيفا جدا، ونفسه قصيرا، فتوافر عدة سنين على رياضة صوته، ويروى أنه كان ينقطع شهورا طويلة ونصف رأسه مخلوق، لئلا يحاول

الخروج، وكان يلقي خطبا وفي فمه حصى وهو على شاطئ البحر ليمرن نفسه على التغلب بصوته على جلبه الناس.

ولما رجع إلى المنبر كان قد أخضع صوته لأرادته، وقد كان يحافظ كل المحافظ كل المحافظة على إعداد جميع خطبه قبل إلقائها، ولذا صار أرقى خطيب، وأعظم مفوه في بلاد اليونان.

وكانت تلك حال كثير من خطباء العرب الممتازين، فقد جاء في البيان والتبيين للجاحظ ويقال إنهم لم يروا قط خطيبا إلا وهو في أول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقا مستصفا أيام رياضته كلها إلى أن يتوقح وتستجيب له المعاني، ويتمكن من الألفاظ إلا شبيب بن شيبه، فإنه ابتداءً بحلاوة ورشاقة، وسهولة وعدوبة، فلم يزل يزداد منها، حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام، ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره.⁵¹

⁵¹ نفس المرجع

وقد يوجد مثل هذا الخطيب الذى تحدث عنه الجاحظ فلا يحتاج إلى التعلم والممارسة، وتنمية مداركه حتى يكون خطيب مصقعا. وذلك إذا كان خالي من العيوب الكلامية، من فأفأة ونحوها، وكانت مخارج حروفه صحيحة، وهو فصيح، طلق اللسان، ثابت الجنان.

وخلاصة القول : يجب على مريد الخطابة أن يروض نفسه على الخطابة الجيدة حتى تصير له شأنًا، وليست الرياضة فقط لطالب الخطابة، بل هى لازمة لمن شدافيتها، وعظم أمره، وعد من أفصح الخطباء، فقد كان (شيشرون) أخطب خطباء الرومان يتمرن على إلقاء الخطبة قبل أن يقدم على إلقائها، وكانت تلك حاله حتى قتل.⁵²

و. مراحل الإعداد للخطبة

تقسم أهل العلم الإعداد للخطبة إلى أربع مراحل⁵³ :

⁵² الخطابة لأبى زهرة 23 - 27
⁵³ إمام مسلمين، نفس السابق

1- المرحلة الأولى : مرحلة الخلق أى خلق موضوع الخطبة.

2- المرحلة الثانية : مرحلة تركيب عناصر الخطبة.

3- المرحلة الثالثة : مرحلة اختيار الأدلة.

4- المرحلة الرابعة : مرحلة التعبير البياني.

وإذا كنا نركز على هذه المراحل، ونبين تفصيلات كل مرحلة منها

فإننا بذلك نؤكد على أهمية الإعداد للخطبة، وضرورة هذا الإعداد.

والعلنا نحس تخلفا واضحا فى الخطابة الدينية والوعظ الدين فى هذا

العصر، ويرجع ذلك فى الأساس لإهمال الإعداد عند الخطباء، وعدم

الاهتمام بتحضير خطبهم، ولا يستغنى خطيب مهما كان عن إعداد الخطبة

وتهيئتها، وكبار الخطباء يهتمون بخطبهم، ويتخيرونها بدقة، ويعدونها إعدادا

علميا كاملا، وهذا هو السبب الرئيسي في نجاحهم وتردد أسمائهم

على السنة الجماهير.⁵⁴

⁵⁴ عبد الغفار: *أصول الخطابة العربية* 175 – 181.